المحاضرة السادسة: النقد الأنثروبولوجي:

يمثل النقد الأنثروبولوجي أحد الاتجاهات الحديثة التي وسّعت أفق الدراسات النقدية، إذ لم يعد الاهتمام منصبًا فقط على النص الأدبي في حد ذاته، أو على المؤلف أو القارئ، بل أصبح ينظر إلى العمل الأدبي بوصفه نتاجًا ثقافيًا واجتماعيًا مرتبطًا بالبنية الحضارية للمجتمع. ومن هنا، فإن هذا المنهج ينطلق من فكرة أساسية مفادها أن الأدب لا يمكن فصله عن السياق الإنساني العام الذي أنتجه، سواء كان هذا السياق ثقافيًا، اجتماعيًا، أو حتى تاريخيًا.

في هذا الإطار، تتقاطع الأنثروبولوجيا مع النقد الأدبي باعتبارها علمًا يهتم بدراسة الإنسان في أبعاده الطبيعية والثقافية والاجتماعية، حيث يتتبع هذا العلم تطور المجتمعات البشرية منذ الإنسان البدائي إلى الإنسان المعاصر، مع التركيز على العادات والتقاليد وأنماط السلوك والنظم الاجتماعية. وبالتالي فإن النقد الأنثروبولوجي يستفيد من هذا التصور الشامل للإنسان، ليقرأ النصوص الأدبية بوصفها انعكاسًا لبنية ثقافية عميقة تشكل وعي الفرد والجماعة.

مفهوم الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالنقد

تُعرّف الأنثروبولوجيا بأنها علم دراسة الإنسان من حيث هو كائن طبيعي واجتماعي وثقافي، وهي كلمة مشتقة من اليونانية: "Anthropos" بمعنى الإنسان و"Logos" بمعنى العلم أو الدراسة. وهذا يعني أن هذا العلم يهتم بكل ما ينتجه الإنسان من سلوك وأفكار وممارسات داخل المجتمع.

وقد تطور هذا العلم ليشمل فروعًا متعددة مثل الأنثروبولوجيا الثقافية، والاجتماعية، والطبيعية، والنفسية، وكل فرع يركز على جانب معين من حياة الإنسان. فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بالرموز والعادات واللغة، بينما تهتم الاجتماعية بالبنى الجماعية مثل الأسرة والقرابة، في حين تدرس الطبيعية تطور الإنسان البيولوجي، أما النفسية فتركز على السلوك الفردي والجماعي من منظور نفسي.

هذا التنوع جعل الأنثروبولوجيا أداة تحليلية مهمة في الدراسات النقدية، لأنها تقدم رؤية شاملة لفهم الإنسان داخل بيئته، وهو ما استفاد منه النقد الأنثروبولوجي في تحليل النصوص الأدبية.

النقد الأنثروبولوجي: المفهوم والأساس النظري

يقوم النقد الأنثروبولوجي على فكرة أساسية مفادها أن النص الأدبي ليس مجرد إنتاج فردي معزول، بل هو انعكاس لبنية ثقافية واجتماعية أوسع. فالأديب، مهما كانت فرديته، يبقى ابن

بيئته، يحمل في كتاباته آثار الثقافة التي نشأ فيها، واللغة التي يفكر بها، والقيم التي تشكل وعيه.

ومن هذا المنطلق، لا يكتفي الناقد الأنثروبولوجي بقراءة النص من الداخل، بل يربطه بالنسق الثقافي والاجتماعي الذي أنتجه، فيبحث في العادات، والطقوس، والأساطير، وأنماط التفكير السائدة داخل المجتمع. وهكذا يصبح النص الأدبي وثيقة ثقافية تكشف عن طريقة تفكير مجتمع كامل، وليس مجرد تجربة فردية.

كما يهتم هذا النقد بدراسة الرموز الثقافية داخل النصوص، مثل الأسطورة والحكاية الشعبية والمعتقدات، باعتبارها عناصر تعكس الوعي الجمعي للمجتمع. فالأدب هنا يُقرأ بوصفه مرآة للثقافة، وليس فقط تعبيرًا عن ذات فردية.

الإنسان والثقافة في الخطاب الأدبي

يرتكز النقد الأنثروبولوجي على فكرة مركزية وهي أن الإنسان كائن ثقافي بامتياز، وأن سلوكه لا يمكن فهمه خارج سياقه الاجتماعي. فكل ما ينتجه الإنسان من أدب أو فكر هو نتيجة تفاعل مستمر بين الفرد ومجتمعه.

ومن هنا، فإن اللغة الأدبية نفسها تُعد نتاجًا ثقافيًا، تحمل داخلها آثار المجتمع وتاريخه. كما أن الصور الفنية والأساليب السردية كثيرًا ما تكون مرتبطة بالمخيال الشعبي والأساطير المتوارثة.

وبالتالي، فإن دراسة النص الأدبي من منظور أنثروبولوجي تسمح بفهم أعمق للعلاقة بين الإبداع الفردي والذاكرة الجماعية، حيث يصبح النص مساحة يتقاطع فيها الذاتي مع الجماعي، والرمزي مع الواقعي.

النقد الأنثروبولوجي والأسطورة

من أهم مجالات اهتمام النقد الأنثروبولوجي دراسة الأسطورة بوصفها بنية فكرية وثقافية تعكس طريقة تفكير الإنسان القديم. فالأسطورة ليست مجرد قصة خيالية، بل هي نظام رمزي يعبر عن تصورات المجتمع حول الكون، والحياة، والموت، والقوى الغيبية.

وقد استفاد النقد الأنثروبولوجي من الدراسات الأنثروبولوجية في تحليل الأساطير داخل النصوص الأدبية، حيث يتم ربطها بالبنية الثقافية للمجتمع. فوجود عناصر أسطورية في النص الأدبي يدل على استمرار الذاكرة الجماعية داخل الإبداع الفردي.

إيجابيات النقد الأنثروبولوجي

يمتاز النقد الأنثروبولوجي بعدة نقاط قوة، أهمها أنه:

- يربط الأدب بسياقه الاجتماعي والثقافي.
- يوسع دائرة التحليل لتشمل الإنسان في شموليته.
- يساعد على فهم الرموز الثقافية داخل النصوص.
- يكشف عن العلاقة بين الفرد والمجتمع في الإبداع الأدبي.
- يعمّق قراءة النصوص من خلال العودة إلى الجذور الحضارية.

سلبيات النقد الأنثروبولوجي

ورغم أهميته، فقد وُجّهت له بعض الانتقادات، من بينها:

- المبالغة في ربط النص بالمجتمع وإهمال الجانب الجمالي.
- تقليل أهمية الفردية الإبداعية للمؤلف.
- صعوبة تعميم النتائج على مختلف المجتمعات.
- اعتماد بعض الدراسات على معطيات غير دقيقة أو غير موثقة.
- إهمال خصوصية النص الأدبي لصالح السياق الثقافي العام.

يمكن القول إن النقد الأنثروبولوجي يمثل تحولًا مهمًا في الدراسات النقدية الحديثة، لأنه نقل الاهتمام من النص بوصفه بنية لغوية مغلقة، إلى النص بوصفه ظاهرة ثقافية مرتبطة بالإنسان والمجتمع والتاريخ. فهو يسعى إلى فهم الأدب من خلال الإنسان، وفهم الإنسان من خلال ثقافته، مما يجعله منهجًا شاملاً يربط بين الأدب والعلوم الإنسانية.

قائمة المراجع

- أحمد بن نعمان: *سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية*، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- حسين فهيم: *قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان*، عالم المعرفة، الكويت.
- عدنان أحمد مسلم: *محاضرات في الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)*، مكتبة العبيكان، الرياض.
- بيري ج. بيروت: *دراسة الأنثروبولوجيا: المفهوم والتاريخ*، ترجمة كاظم سعد الدين، سلسلة عالم الحكمة، بغداد.
- يوسف وغليسي: *مناهج النقد الأدبي*.
- بسام قطوس: *دليل النظرية النقدية المعاصرة: مناهج وتيارات*.

- ميجان الرويلي وسعد البازعي: *دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا*.